# الملمح الإصلاحي في أدب جمعية العلماء المسلمين ـ نماذج مختارة ـ*

# The reformist aspect in the literature of the Muslim Scholars Association Selected Examples

**أميرة بريمة**
جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية (الجزائر)/ مخبر التأويل وتحليل الخطاب
amirabrose24@gmail.com

**ملخص:**
يعدّ المنجز الأدبي الخاص بجمعية العلماء المسلمين في الجزائر واحدا من أهم الميادين الخصبة للدراسة ولكشف ما يخفيه من جماليات ومضامين ورسائل تربوية هامة قادت ولازالت تقود الأمة ، سواء أكان المنتج الأدبي شعرا أو نثرا فقد كان لهذا الأدب الكثير من الحضور القوي في الساحة الثقافية الجزائرية وكان لأدبائه قوة الكلمة لما يحمله من قيم أخلاقية أفادت الأمة في ترسيخ هويتها وفي ثباتها أمام تحدي الصعاب التي تعتري طريقها، أدب قيّم ذو مكانة بناءة لدى الذائقة القرائية الجزائرية ، فكيف ظهر ملمح الإصلاح في أدب هذه الجمعية ؟ ، تهدف هذه الدراسة إلى إظهار القيم التي يدعو لها أدب هذه الجمعية هذا الأدب الذي يسعى إلى تحقيق التغيير الإيجابي في المجتمع والفرد ، يعمل على تسليط الضوء على المشاكل الاجتماعية والثقافية والسياسية ، ويحاول توجيه الانتقاد بناء على إلهام القراء للتفكير والتحرك والتغيير ، يهدف أيضا إلى رفع الوعي ، وتشجيع التفكير النقدي ، وتوفير الأمل والإلهام ، وتعزيز الانتماء والتضامن في المجتمع من خلال تحقيق هذه الأهداف، يسعى أدب الجمعية إلى تحقيق تحول إيجابي في الحياة الفردية والجماعية.

**الكلمات المفاتيح:** أدب الإصلاح الجزائري، النهوض الفكري، لين الكلمة، الهتاف الثوري ...

**Abstract:**
The literary achievement of the Muslim Scholars Association in Algeria is considered one of the most important fertile fields for study and for revealing the aesthetics, contents and important educational messages it conceals that have led and continue to lead the nation, whether the literary product is poetry or prose. This literature has had a strong presence in the Algerian cultural arena and has its writers have the power of the word because of the moral values it carries that have benefited the nation in consolidating its identity and in its

| تاريخ استلام البحث: 2024/02/26 | تاريخ قبول البحث: 2024/04/06 | تاريخ النشر:2024/05/13 |
|---|---|---|

steadfastness in the face of challenging the difficulties facing its path. It is valuable literature with a constructive status in the Algerian reading taste. So how did the aspect of reform appear in the literature of this association? This study aims to show the values advocated by the literature of this association. This literature, which seeks to achieve positive change in society and the individual, works to shed light on social, cultural and political problems, and attempts to direct criticism based on inspiring readers to think, move and change. It also aims to raise awareness, encouraging critical thinking, providing hope and inspiration, and promoting belonging and solidarity in society. By achieving these goals, the association's literature seeks to achieve a positive transformation in individual and collective life.

**Keywords:**
Reformist literature, progressive literature, social change, equality

## تمهيد:

التزمت حركة الإبداع لدى التيار الإصلاحي الجزائري بقواعد سنّتها طبيعة هذا التيار الأدبي الداعي للثبات والمقاومة الفكرية و الذي يدعو بالأساس إلى الحفاظ على معالم الهوية الجزائرية ، اللغة والدين والوطنية ، وهذه هي أهداف أعضاء جمعية العلماء المسلمين و على رأسهم العلاّمة "بن باديس" و" البشير الإبراهيمي" الذين أصرّوا على المحافظة على ما يشكّل الهوية الجزائرية وظهر ذلك في أدبهم الفكري في الشعر والنثر سوية ، فقد كانت إنتاجاتهم الأدبية وسيلتهم في المحافظة على المبادئ التي تدعو لها هذه المدرسة ، مبادئ يصرون على إحيائها عبر الزمن ويصرّ القارئ بدوره على تذكرها عبر الزمن ـ هو الآخر ـ ، فكيف كان دور أدب الجمعية في النهضة و إلى أي مدى تحقق ما ترمي إليه ـ هذه الجمعية ـ من أهداف و إنجازات ؟

يعدّ الأدب الإصلاحي الفن الأدبي الذي يتميّز بقوته في تحقيق التغيير الإيجابي في الفرد والمجتمع، ويعتبر هذا الأدب وسيلة فعالة للتعبير عن الظلم والفساد والتمييز العنصري ومحاولة محاربته، يعمل الأدباء والكتّاب الذين يمارسون هذا النوع من الأدب على توجيه الانتقاد البناء للممارسات الظالمة، وتشجيع القراء على التفكير النقدي والتحرك نحو التغيير.

يشمل أدب الإصلاح العديد من الأنماط الأدبية مثل الرواية، والشعر، والمسرح، والمقالة، وغيرها، يعتمد الأدب الإصلاحي على القوة السردية والشعرية المؤثرة معا، وذلك من خلال تسليط الضوء على أهم القضايا التي تقوم في المجتمعات وتحفيز القراء والمثقفين على التفكير فيها وتحليلها وتطوير رؤى جديدة.

يعمل الأدب الإصلاحي على توجيه الانتقاد البناء للأفراد والمجتمعات من خلال استخدام قوة الكلمة، باعتبار أن ما يجري في المجتمعات مسؤولية شخصية واجتماعية، لذلك يهدف هذا الأدب إلى توفير الأمل والإلهام، عن طريق تقديم شخصيات قوية وقصص ملهمة، يسعى الأدب الإصلاحي من خلالها لإعطاء القراء الأمل في أنّ التغيير ممكن وأنّهم قادرون على المساهمة فيه، يعمل الكتّاب كوسطاء للأفكار والأحلام، ويشجعون القراء على النمو الشخصي والتطور وتحقيق طموحاتهم. بالإضافة إلى أنّ الأدب الإصلاحي هو أدب يعزز الانتماء والتضامن في المجتمع، إذ يساهم الأدباء في تعزيز الوعي الاجتماعي والترابط البشري إذ يعمل على تجاوز الفروق الاجتماعية والثقافية ويؤكد على أهمية التعاون والتعاطف بين الناس.

لقد برز ملمح الإصلاح لدى أدب جمعية العلماء المسلمين في الشعر والنثر، وذلك من خلال إصرار أعضاء جمعية العلماء المسلمين على ترسيخ ما يحافظ على معالم الهوية الجزائرية من لغة فقد ركزوا جيدا على المحافظة على اللغة العربية ونشرها في جميع أنحاء الوطن، وعلى المحافظة على الدين الإسلامي والذي هو أساس الثقافة الجزائرية وأيضا على المحافظة على الوطن الجزائري الحبيب، فكانت لهم إنتاجات أدبية كثيرة عكست ثقافتهم وما يرمون إليه.

**1/الأدب الشعري لدى جمعية العلماء المسلمين:**

لقد كان لدى أعضاء جمعية العلماء المسلمين الكثير من الإنتاج الشعري والقصائد الشعرية التي تحدّت المستعمر الفرنسي وعملت على إرساء أسس الثقافة الجزائرية ويظهر ذلك من خلال اللغة الشعرية كعامل من العوامل الهامة في معرفة قيمة القصيدة وكذلك الصورة الشعرية التي تحمل كلمات قصائدهم ، هذه المنظمة الثقافية والدينية التي تأسست في الجزائر وتضم مجموعة من العلماء والأدباء والمثقفين المسلمين وعلى الرغم من أنّها تركز بشكل رئيسي على النشاطات العلمية والتعليمية والدعوية، إلّا أنّها تشتهر بالأدب الشعري الذي يتم إنتاجه وتعزيزه من قبل أعضائها . الأدب الشعري لدى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يعكس الثقافة الإسلامية والقيم الدينية والموروث الثقافي للجزائر، يستخدم الشعر لنقل الفكر الديني والأخلاقي والاجتماعي ويعمل على تعزيز الوعي والوحدة الوطنية والهوية الإسلامية لدى الجماهير.

يتطرق الشعراء في الأدب الشعري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى مواضيع متنوعة، يتحدثون عن الإيمان والتقوى والأخلاق الحميدة ويدعون إلى الوحدة والتضامن بين المسلمين والمحافظة على الهوية الإسلامية، كما يعكسون الظروف الاجتماعية والسياسية للجزائر ويعبرون عن الحرية والعدالة والاستقلالية.

تعتبر القصائد الدينية من أبرز الأشكال الشعرية في الأدب الشعري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تتناول هذه القصائد مواضيع عدّة مثل العبادة والتقرب من الله وحب النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وتعمل على تعزيز القيم الإسلامية في القلوب وتحفيز الناس على العمل الصالح والتفاني في خدمة المجتمع.

بالإضافة إلى ذلك، تسعى القصائد الوطنية في الأدب الشعري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى تكريم الجزائر وتعزيز الانتماء الوطني، وتتميز قصائده بالتعبير عن الحب للوطن والتضحية من أجله وتسليط الضوء على التاريخ والثقافة الجزائرية والنضال من أجل الحرية والاستقلال.

يجب الإشارة إلى أنّ الأدب الشعري لدى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد يختلف في أسلوبه ومضمونه بين الشعراء المختلفين الذين ينتمون إلى الجمعية، يمكن أن يكون لكل شاعر نظرة فردية وأسلوب مميز في التعبير عن الأفكار والمشاعر.

**ـ اللغة الشعرية:**

اللغة واحدة من أهم السمات التي إما أن تجذب القارىء أو تنفّره ، لهذا نجد أن التيار الإحيائي في الجزائر قد تميّز بقصائده العائدة للتراثي في كل حرف فيها ، فقصائدهم قصائد تقليدية يبرر تقليدها جزالة اللغة والألفاظ وقوتها ومتانتها، والتقليد آنذاك كان نتيجة زمن وظرف مرتبط به،" إنّ المحافظة والتقليد دفعت الشعراء الجزائريين في المرحلة الإصلاحية إلى انتهاج نهج القصيدة التقليدية القديمة ، وقد ظهر تعلّقهم بمتن العمود الشعري بصفة جلية في الصياغة الشعرية، سواء في طبيعة العبارة وموقفهم من صياغتها، أم في طبيعة اللفظة والصورة والنمو الداخلي للقصيدة ، إنّ إعجاب الشعراء المحافظين بالنماذج العربية القديمة جعلهم يحتذون الأساليب البيانية المشهورة فاقتصروا على التراكيب اللغوية الجاهزة ، وهو ما حدد إمكاناتهم الشخصية في استثمار اللغة استثمارا جماليا فنيا "[1]. عند الحديث عن الشعر في الجزائر، يتجاوز الأمر مجرد تركيب الكلمات والأبيات بل يعكس ثقافة وتاريخ شعبها، إنّ اللغة الشعرية في الجزائر تعدّ أحد العناصر الأساسية في التعبير الفنّي والثقافي، وتعكس هوية الشعب الجزائري وروحه الوطنية.

تتميز اللغة الشعرية في الجزائر بتنوعها وتعدد أشكالها، فهي تضم نماذج شعرية متنوعة مثل القصائد الرومانسية، والقصائد الوطنية، وغيرها من الأشكال الشعرية، وقد تطورت هذه الأشكال على مر العصور بتأثير من التجارب الثقافية المختلفة التي مرت بها الجزائر. تتميز اللغة الشعرية الجزائرية بغناها اللغوي واعتمادها على التعابير المجازية القوية، كما تعتمد على الإيقاع والقافية لإيصال المعنى وإبراز المشاعر والأفكار، تعتبر القافية والإيقاع جزءا لا يتجزأ من الهندسة الشعرية في الجزائر، حيث يتم التلاعب بالأصوات والتكرارات الصوتية لإنشاء تأثيرات موسيقية وجمالية.

يرجع تأثرهم بكل ما هو تقليدي في الشعر لكي يحافظوا على جزالة اللغة العربية وثقل تحمل مسؤولية تعليمها وتعلّمها للأجيال اللاحقة، فهي زيادة عن أنّها لغة ثرية ولغة قوية هي لغة القرآن الكريم أولا و آخرا. تتنوع أشكال الشعر المستخدمة في الأدب الشعري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وتتميز هذه القصائد باللغة الجميلة والعاطفية والقوية، وتعكس العمق الروحي والحس الثقافي للشعب الجزائري.

ولم يغفل الشعراء على كتابة قصائد عن بعضهم البعض، لكي يعرفوا القارىء بشخصيات الجمعية التي قامت بمجهودات كبيرة لكي تحافظ على هوية الشعب الجزائرية، لذلك نجد الكثير من القصائد تصف وتمدح لنا شخصية علمية لها قيمتها ومانها في التراث الفكري الجزائري ومن بينهم شخصية " عبد الحميد ابن باديس" :

"عَبْدَ الحَمِيْدِ النَّصْرُ قَدْ وَافَاكَ رَغْمَ المُنَافِسِ وَالذِيْ عَادَاكَا
وَاصَلْتَ سَيْرَكَ مُرْشِدًا وَمُعَلِمًا وَلَسَوْفَ تَحْمَدُ بَعْدَهَا مَسْرَاكَا
إِنِّيْ رَأَيْتُ لِلزَعَامَةِ أَهْلَهَا وَالكُلُّ لِلنَظَرِ السَدِيْدِ رَآكَا
إِنْ كَادَتِ الأَعْدَاءُ يَوْمًا أَوْ سَطُوا فَاللّٰهُ جَلَّ جَلَالُهُ يَرْعَاكَا
مَا شَوَّهُوا لَكَ سُمْعَةً كَلاَّ وَإِنْ قَصَدُوا بِذَاكَ الحَطَّ مِنْ عَلْيَاكَا "[2]

" عبد الحميد بن باديس " شاعر جزائري بارز وأحد أهم رواد النهضة الأدبية والثقافية في الجزائر وهو شاعر الوطن والأمة والحرية والثورة، يعدّ رمزا من رموز النضال الجزائري، شعره ينقل صوت الشعب وصورته للعالم، وهو شاعر يمتلك إرث شعري ثقافي ساهم بالكثير في حماية الوطن وتطويره.

هي إذًا قصيدة لـ "الطيب عقبي" أحد أعضاء جمعية العلماء المسلمين، وهو شاعر وناثر في نفس الوقت، يبدو على كلمات القصيدة أنّها كلمات قوية، إذ تبرز مسحة الفخر والمدح بين ثنايا الحروف، فهو يمدح رئيس جمعية العلماء المسلمين السيد " عبد الحميد بن باديس " هذا الرجل الذي عرف هو الآخر بنزعته الإصلاحية التي تدعو لبناء جزائر أساس استقرارها الوحيد والأوحد الجانب الأخلاقي الحميد.

يشير الشاعر إلى رؤيته للقيم والصفات التي تجعل عبد الحميد بن باديس زعيما، يقول إنّ الجميع يعترف بحكمته ونظرته الثاقبة وإذا حاول الأعداء الإساءة إليه فإنّ الله سيحميه ويدافع عنه ويحفظه من كل سوء.

تستخدم القصيدة أسلوبا شعريا موسيقيا ومجازيا، حيث تتضمن القافية والإيقاع لإيصال رسالتها بشكل جميل، تعكس القصيدة الاحترام والتقدير لعبد الحميد بن باديس، وتعتبر شخصيته شخصية رائدة وزعيما محترما في المجتمع.

لغة القصيدة في هذا النص تتميز بالبلاغة والعبقرية اللغوية، يتم استخدام اللغة الشعرية للتعبير عن الأفكار والمشاعر بشكل متقن وجميل، يلاحظ أنّ القصيدة تستخدم الإيقا لإيصال رسالتها بشكل موسيقي وجذاب.

تستخدم القصيدة المجاز والتشبيهات اللغوية لإثارة الشعور وتوصيل المعاني بطريقة مميزة، كما تستخدم القصيدة الكلمات ذات الدلالات العميقة والثقافية لإبراز الهوية والتراث الجزائري، كما يتم استخدام كلمات مثل الزعامة والنظر السديد والأعداء والحط لإثراء المعنى وتعزيز الصورة المرادة.

لغة القصيدة تتميز بالبساطة والوضوح في التعبير، مع الاحتفاظ بالجمالية الشعرية، تعتبر لغة القصيدة وسيلة فنية للتعبير عن الأفكار والمشاعر بطريقة مختصرة وملهمة.

وتدعو جلّ القصائد إلى النهضة الفكرية والثقافية، ففي معظم القصائد تجد أنّ هؤلاء الأدباء قد ساندوا الحركة الفكرية في الجزائر، دعما منهم لإحياء روح التثاقف الفكري، فهذه القصيدة مثلا التي أبدعها الشاعر " الطيب العقبي " مخاطبا فيها جريدة " الجزائر " عنونها بـ " ردّ التحية فرض.."

" حَيِّ الجَزَائِرَ مَادَامَتْ تُحَيِّينَا وَانْهَضْ بِشَعْبٍ قَضَى فِي جَهْلِهِ حِينَا
وَاعْمَلْ لِجِرِّ بِلَادٍ طَالَمَا هَضَمَتْ حُقُوقَهَا وَاتَّخِذْ مِنْ حُبِّهَا دِينَا
وَسِرْ حَثِيْثًا عَلَى تِلْكَ الطَرِيْقِ إِلَى حَيْثُ المَعَارِفِ حَيْثُ العِلْمُ يَهْدِيْنَا
تِلْكَ الصَحَافَةُ لَوْ تَنْدَى الأَكُفُ لَهَا لَا شَيْءَ عَنْهَا مَدَى الأَيَامِ يُسَلِيْنَا
مَرْحَى لَهَا وَلِمَنْ قَامُوا بِوَاجِبِهَا يَدْعُونَنَا عَلَنًا لِلْحَقِ مُصْغِيْنَا " [3]

تتميز هذه القصيدة بالطابع الحماسي والتشجيع ، حيث يتضح ذلك من خلال توظيف الأفعال المحفزة مثل "انهض" و " اعمل" و " سر حثيثا " ، والتي تعبّر عن الدعوة إلى العمل والنهوض بالجزائر وشعبها وتتناول القصيدة أيضا قضية استعادة حقوق البلاد والعدالة ، وتشجع على المثابرة والعمل الجاد لتحقيق ذلك ، تستخدم القصيدة أيضا الصور الشاعرية ، مثل " جر البلاد" و " حقوقها " و"حب الوطن " لتعزيز الرسالة الوطنية وإيصالها بشكل فعّال ، كما تبرز القصيدة أهمية العلم والمعرفة في توجيهنا نحو الطريق الصحيح ، وتشيد بالصحافة كوسيلة للكشف عن الحقيقة ودعم العدالة ، بشكل عام تعتبر القصيدة تعبيرا عاطفيا ومحفزا عن الحب للوطن والتضامن مع الشعب .

تأخذ اللغة الشعرية في أدب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الكثير من التراث الأدبي القديم كتوظيف الشعراء لشخصيات أدبية تاريخية مثل شخصية " ليلى العامرية " محبوبة " قيس بن الملوح "المشهورة، أما الشاعر الجزائري" محمد العيد آل خليفة " فيصف حبه لوطنه مثل حب قيس ليلى العامرية، وللشاعر " محمد العيد آل خليفة قصيدة مطولة وجميلة تتمحور حول حب الوطن بعنوان:

" أين ليلاي "

أَيْنَ " لَيْلَايَ " أَيْنَـــــــــــــهَا
حِيْلَ بَيْنِي وَبَيْنَـــــــــــــهَا
هَلْ قَضَتْ دَيْنَ مَنْ قَضَى
فِي المُحِبِّيْنَ دَيْنَـــــــــــــهَا
أَصْلَتِ القَلْبَ نَارَهَـــــا
وَأَذَاقَتْهُ حَيْنَهَـــــــــــا
مُذْ تَعَرَّفْتُ سِرِّهَـــــا
وَتَعَشَّقْتُ زَيْنَـــــــهَا
رَوَّعَتْنِي بِبَيْنِـــــــهَا
لَا رَعَى اللهُ بَيْنَـــــهَا
فَتَعَلَّقْتُ بِالطُّيُـــــــــو
فِ اللَّوَاتِـــــــــيْ حَكَيْنَـــــهَا

وَتَعَلَّلْتُ بِالمُنَـــــــــــــى
فَتَبَيَّنْتُ مَيْنَهَـــــــــــــا

مَالِ " لَـــــــيْـــلَايْ " لَمْ تَصِلْ
مُهْجَـــــــاتٍ فَدَيْـــنَهَـــــا
وَقُلُوبـــــًا عَلَقْنَهَـــــا
وَعُيُونـــــًا بَكَيْنَـــــــهَا
إِيـــــــهٍ يَا عَيْـــنِـــيْ اِذْرِفِيْ
لَنْ تَرَى بَـــعْـــدُ عَيْنَـــــهَـــا
السَّـــــــمَـــــاوَاتُ وَالأَرَا
ضِيْ جَمِـــيْعًـــا نَفَيْـــنَهَـــا
كَمْ تَسَـــــاءَلْـــتُ سَالِـــــكًا
أَنَهُجًا مَا حَوَيْنَـــهَـــا
لَمْ يُجِبْـــــنِيْ سِوَى الـــصَّدَى

أَيْنَ " لَيْـــــــلَايَ " أَيْنَـــــــهَا [4]

هي إذن قصيدة تأخذ من التراث الكثير من قوة المعاني التي تحملها والتي تدور حول حب الشاعر الجزائر لوطنه، فالوكن مثل المرأة في جماله وفي حب الشعراء له وتغنيهم بما يكنونه من شوق وحنين ومشاعر جياشة تأخذ منحى جميل عند ذكرها على مسمع المتلقي.

ما يلاحظ على اللغة الشعرية عموما لدى أدب هذه الجمعية أنّها لغة ذات نبرة خطابية تقريرية مباشرة مع وجود جزالة ورصانة في اللفظ العربي إضافة إلى التماس مسحة الإصلاح الأخلاقي والفكري في الآن ذاته والنزوع للواقعية مع الإشارة للنهوض بالأمة الجزائرية.

**الصورة الشعرية:**

الصورة الشعرية هي أحد اهم العناصر الأساسية في الشعر، وتعتبر وسيلة فعالة لنقل الأفكار والمشاعر بصورة ملموسة ومجسدة، وتساهم في إثراء النص الشعري وإيصال رسالته بطريقة فنية وجمالية، وتعتبر الصورة الشعرية أداة قوية تساعد الشاعر على التعبير عن مشاعره وأفكاره بطريقة مباشرة وغير تقليدية. تتميز الصورة الشعرية بقدرتها على إحضار صور ومشاهد وأحاسيس لا تستطيع الكلمات العادية أو اللغة الوصفية التقليدية تصويرها بنفس القوة والتأثير فهي تعتمد على استخدام اللغة بشكل مجازي ومركب، حيث يتم تشكيل الكلمات والعبارات بطريقة تخلق صورا وتشعر القارىء بالمشاعر المرادة.

إنّ الصورة الشعرية هي أهم محطة يقف عندها القارىء لما تحتويه من رموز وإيحاءات ، تدفع بالقارىء إلى تصور وملامسة المشاعر والأحاسيس والأفكار التي يبعث الشاعر بها للقراء ،إذ تعتبر أحد أساسيات الشعر وتمثل روحه وجوهره ، إنّها تُوظف لإيصال الأفكار والمشاعر بطريقة فنية مبتكرة ، وتعزز تجربة القراءة والتفاعل مع الشعر ، إنّ قوة الصورة الشعرية تكمن في قدرتها على إحداث تأثير عميق ومتعدد الأبعاد على القارىء وتجعل من الشعر تجربة فريدة وممتعة ، تعدّ الصورة الشعرية في الأدب الإصلاحي صورة تقتبس الكثير من التراث وذات رجعية ماضوية تقليدية ، " وبالعودة إلى أغلب الصور المستخدمة من طرف الشعراء الجزائريين ، التقليديين ، تواجهنا هذه الخصيصة اللافتة للنظر ، فنجد محمد العيد آل خليفة مثلا ، دائم استخدام الصورة المستمدة من البيئة الصحراوية طبيعتها ن وحيوانتها ، وحياتها ، فتشبيهاته واستعاراته وكنايته ، تتنفس في مناخ صحراوي صرف ، حتى ولو كانت التجربة متعلّقة بموضوع لا يمت إلى الصحراء بأية صلة " [5] .

تحمل هذه الأبيات من قصيدة " ذكرى 8 ماي "، صورا شعرية قوية تصف مدى قيمة هذا اليوم الثامن من شهر ماي في الذاكرة الجزائرية، هذا اليوم الذي يحمل الكثير من تاريخ الأمة في كفاحها عن أرضها وكينونتها:

" ذِكْرَاكَ يَا يَومُ تَحَزُّ فِيْ الأَحْشَا

إِذَا أَقْبَلَ القَوْمُ وَحْشٌ تَلَا وَحْشَا

...

يَا يَومَ لَمْ تُشْرِقْ شَمْسٌ عَلَى مِثْلِكْ

آلَ الضُحَى مُغْرَقْ وَالمُلْتَجَى مُهْلِـكْ

...

ذِكْرَاكَ يَا يَوْمُ لَا تَأْتَلِي حَومَا
تَعْتَادُ فِيْ النَومِ فَتَطْرُدُ النَوْمَا

...

رِيْعُ الحَمَى فِيْكَا وَالأَهْلُ فِيْ غَفْلَة
لَمْ يَعْفُ عَافِـيْكَا طِفْلًا وَلَا طِفْلَهْ

...

فِيْكَ اِعْتَرَتْ أَمَه رَهْطًا مِنَ الشَمْسِ
فَقَتَلُوا أُمَه أَحْيَتْهُمُ أَمْس

...

سَاقَتْ لَهُمْ نَصْرًا جَازوهُ بِالكَسْرِ
كَمَنْ فَدَى الأَسْرَى فَبَاتَ فِيْ الأَسْرِ

...

لَهَفِي عَلَى مُرْضِعْ قَدْ عَفّرَتْ أمّه
مَا خَب أَوْ أَوضَعَ إِلا الشَقَا أَمَّه

...

الشَعْبُ مَسَّتْهُ فِيْكَ اليَدُ العُسْرَا
أَضْحَى فَمَسَتْهُ بِالضُرِّ وَالعُسْرَى

...

يَا يَومَ ذِكْرَاكَا لَمْ تَبْرَحْ البَالَا

لَوْ طَافَ مَسْرَاكَا بِاللَيْثِ مَا صَالَا

...

زَرَعْتُ أَحْسَاكَا مَنْبَتُهَا الصَدْرْ
فَكَيْفَ نَـنْسَاكَا إِنَّا إِذَنْ غَدْرْ " [6]

يقوم الشاعر " البشير الإبراهيمي " في هذه الأبيات على تذكيرنا بيوم تاريخي له قيمته التاريخية في ذاكرة الشعب الجزائري من خلال القصيدة أعلاه فهو يوم ليس كباقي الأيام هو يوم لم تسطع فيه الشمس كبقية الأيام الأخرى ، هو رمز للحزن والقوة والتحدي والثورة الجزائرية الصارمة ، هو يوم يعكس مرحلة مهمة من النضال الوطني الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي وهو مصدر إلها للعديد من الشعراء الجزائريين كما يمثل الصمود والتضحية التي قدمها الشعب الجزائري في وجه القمع والظلم ، ولا يمكن نسيان هذا اليوم ولا محوه من الذاكرة الجزائرية الوطنية ، فهو يوم غال جدا في التراث الجزائري الثقافي .

نستنتج مما سبق أنّ شعر جمعية العلماء المسلمين شعر ذو رسالة تربوية إصلاحية تحاول تغيير الواقع على ما هو أفضل من خلال ربط الصور الشعرية واللغة الشعرية والإيقاع الشعري بكل ما هو قديم ، يعطي للشاعر الدور الفعّال في بناء وطنه وتوجيهه إلى الازدهار وحفظ الاستقرار هذا ما استطعنا تقفيه والتماسه في هذه المدرسة وكون أننا درسنا مواصفات قصيد هذه المدرسة ، لا يعني البتة إهمال بقية المدارس التي ترنو وتدعو إلى التجديد ، بالعكس تماما فلا يحق لنا التعصب لمدرسة على حساب مدرسة أخرى ، فكلها في نظرنا أشعار ذات قيمة وأشعار ترفع بالذوق القرّائي إلى ما هو أسمى .

**2 ـ نثريات جمعية العلماء المسلمين " نصوص مختارة ":**

أما الأعمال النثرية الخاصة بجمعية العلماء المسلمين، فهي كثيرة هي الأخرى، إذ كانت عبارة عن مجموعة من المقالات والآثار العلمية "كآثار عبد الحميد بن باديس" و"آثار البشير الإبراهيمي" وأيضا جرائد "كالشهاب ، البصائر " ، وكلّها ذات طابع إصلاحي تبحث عن المشكلات الواقعية في المجتمع الجزائري آنذاك وتعالجها ، من خلال طرح بعض الحلول التي تؤدي إلى نتيجة إيجابية وتخفف بعض الحمل الثقيل على هذا المجتمع الذي دعمته وبقوة أفكار هذه الجمعية الداعمة للبناء والتشييد .

يعكس النثر لدى أدب جمعية العلماء المسلمين ذلك الوعي الثقافي غذ لعب دورا مهما في تطوير الأدب العربي وتعزيز الوعي الثقافي، تميز النثر في جمعية العلماء المسلمين بتنوعه وغناه، حيث امتاز بتناول مواضيع متنوعة تتناول الحياة اليومية والسياسية والتاريخ والاجتماع والثقافة والدين، وهو أدب يعكس الروح الثقافية والفكرية للجمعية ومساهمتها الهامة في تطوير الادب الجزائري والعربي بشكل عام ، كما تسعى كتاباتها إلى الرؤية الشاملة للحياة والمجتمع وتسعى إلى تحقيق التغيير الإيجابي .

من خلال بعض المقاطع النثرية التي تمّ اختيارها، يمكن للقارىء أن يكتشف ولو بعض القليل عن خفايا النثر في أدب الجمعية، من خلال إبراز بعض ميزات هذا النوع الأدبي الخاص بهذه الجمعية:

**ـ اللغة النثرية :**

عندما نتحدث عن اللغة النثرية، فإننا نشير إلى اللغة التي يستخدمها الكتّاب في النثر والكتابة غير الشعرية، إنّ اللغة النثرية تهدف إلى التعبير عن الأفكار والمشاعر والمفاهيم بطريقة مباشرة وغير مقيدة بقواعد الشعر ففي النثر يمكن للكتاب أن يستخدموا الجمل الطويلة والتراكيب المعقدة والتعبيرات الحوارية والوصفية لنقل أفكارهم بدقة وبعمق.

تتميز اللغة النثرية بمرونتها وتنوعها، حيث يمكن استخدامها لكتابة مختلف أنواع النصوص مثل المقالات، الروايات، المذكرات.. ويعتمد اختيار اللغة النثرية على طبيعة الجمهور المستهدف والأهداف التواصلية المرجوة.

يعكس الاستخدام الماهر للغة النثرية القدرة على التعبير بوضوح وإيصال الأفكار بشكل قوي ومؤثر، يعتمد ذلك على استخدام مختلف الأساليب والتقنيات اللغوية مثل التوصيف، الحوار، والتعبير الشخصي، يهدف من خلالها الكتاب إلى إحداث تأثير عاطفي أو فكري لدى القارىء من خلال استخدام اللغة النثرية بشكل استخدام اللغة النثرية بشكل مبدع وجذاب.

مقطع نثري مأخوذ من جريدة البصائر بعنوان " المسامرة ":

"افتتح المسامر كلامه في ملأ من المستمعين الذين وفدوا على النادي فغصّت بهم قاعته الفسيحة وكل غرفه ومساحاته بقوله:

" السلام عليكم أيها الحاضرون، وعموا مساء أيها المستمعون، يقول الجاهلون بحقيقة الإسلام: إنّ تعاليمه لا تتفق مع روح العصر الحاضر وباطل ما يقولون، بل الحقّ الذي لا غبار فيه ولا مرية فيه لدى المنصف هو أنّ الإسلام دين كل تقدم ورقي ويأمر بكل فضيلة وينهى عن كل رذيلة، أساسه المساواة بين بني البشر وهيكله المشاد على ذلك الأساس إنّما هو الرحمة والعدل، وبرهان ذلك قوله عزّ وجلّ: " يا أيّها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم ..."[7]

ما يلاحظ على اللغة النثرية الخاصة بهذا المقال، أنّها لغة ذات ملمح القصصي ويظهر ذلك من خلال العنوان ومن خلال وصفه لكيف افتتح المسامر في ملأ من المستمعين، وتظهر النبرة

الخطابية التقريرية في جميع كلمات المقال والتي تميل للواقعية، وذلك من خلال هذه الألفاظ: " أيها الحاضرون، أيها المستمعون " فأيها للنداء ولفت الانتباه لما يريد أن يقوله المسامر، كما أنّها لغة تؤكد على قوة الإسلام وعلى سماحته وعلى أنّه دين يوافق كل عصر في مبادئه التي يدعو إليها فهو دين العدل والحق أينما كان وكيفما كان وكذا التسامح بين الشعوب والأمم.

**ـ قراءة في عناوين بعض مقالات جمعية العلماء المسلمين:**

لقد أخذ الجانب الأخلاقي والديني القسط الكبير من أدب الجمعية وذلك من خلال مجموعة من المقالات والأفكار التي تبث روح الإصلاح وتبحث عن تلك الثغرات التي قد تؤدي بالمجتمع إلى الهلاك لتسدّها فمثلا لديك مجموعة من العناوين لمقالات صلبها محاربة آفات طرأت على المجتمع الجزائري، كهذا المقال مثلا المعنون بـ " الشرك ومظاهره " " بقلم العلامة الأستاذ "مبارك الميلي " وهو يحذر المسلمين في هذا المقال من اتباع الشرك والمحافظة على دينهم وقيمه النبيلة ، المقال الثاني "مشروعية صوم رمضان " بقلم "الطيب العقبي " يستحضر في هذا المقال عظمة الله وعظمة هذا الشهر المبارك، وأيضا مقال آخر بعنوان "الصدق " والكثير الكثير من المقالات الأخرى التي لا تسنح الفرصة لذكرها كلها ، مع مراعاة الإشارة إلى أهميتها .

تظهر أهمية اللغة النثرية هنا من خلال عناوين المقالات فهي لغة تسلط الضوء على القضايا الاجتماعية والسياسية المهمة، مثل حقوق الإنسان والعدالة والحرية والمساواة، يتناول الكتّاب في أعمالهم النثرية، قضايا المجتمع ويهدف من خلال تلك الأعمال إلى إلهام التغيير والتحرك نحو الحفاظ على القيم والمبادئ التي تربى عليها المجتمع الجزائري، وباختصار اللغة النثرية تؤدي دورا حاسما في الأدب الإصلاحي، حيث تساهم في إيصال الرسالة وتحفيز القراء على التفكير والعمل من أجل التغيير الاجتماعي والسياسي، من خلال المساهمة في بناء وعي المجتمع وتعزيز الحوار العام حول هذه القضايا.

**تيمة المرأة الجزائرية في نثريات أدب جمعية العلماء المسلمين:**

تعدّ صورة المرأة في الأدب الإصلاحي واحد من أهم الأيقونات الجمالية في إبراز قيمة ذلك الأدب، ففي الأدب الإصلاحي يتم تصوير المرأة بشكل مختلف ومتنوع عن الأدب التقليدي، إذ يهدف الأدب الإصلاحي إلى تحقيق المساواة والعدالة الاجتماعية، وبالتالي يسعى لتمثيل المرأة بشكل يعكس قوتها وقدراتها وتحدياتها.

تعكس الأعمال الأدبية في الادب الإصلاحي تجارب المرأة وقصصها بشكل أكثر واقعية وتعمقا، تبرز المرأة كشخصية قوية ومستقلة، تتحدى النمط الثقافي والاجتماعي التقليدي، وتسعى لتحقيق ذاتها وتحقيق تحولات في حياتها وفي المجتمع بشكل عام.

صورة المرأة في الأدب الإصلاحي تتغير من كاتب إلى آخر ومن عمل إلى آخر، وتتأثر بالخلفية الثقافية والاجتماعية للكاتب وللمجتمع الذي ينشأ فيه العمل الأدبي، ومع ذلك فإنّ الهدف العام هو تمثيل المرأة كشخصية قوية ومؤثرة، تسعى للتغيير وتحقيق المساواة والعدالة.

أما موضوع المرأة، فأخذ هو الآخر أهميته لدى أدب الجمعية فالنساء هن أعمدة المجتمعات وبالمرأة يصلح المجتمع وبها يفسد، وللمرأة جذورها في التاريخ ولها حكاياتها الراسخة لدى الأجيال الملكة " بلقيس" مثلا كان تحكم عرشا ومملكة بأسرها، ولم يغفل الجزائريون عن أهمية ودور المرأة في بناء المجتمعات وكان لفكر جمعية العلماء المسلمين الدور الكافي لإبراز قيمتها ويظهر ذلك من خلال هذا القول: " المرأة من الأمة كالروح من الجسد، والراحة من اليد إذا صلحت صلحت الأمة كلّها وإذا فسدت فسدت الأمة كلّها، وهي المدرسة الأولى التي تلقي في طور الأمومة على ولدها كأم كل كائن حي دروسا عملية يتخذها في مجاهل الحياة ومنارا يهتدى به في الظلمات، لذلك كانت نصف الرجل الذي تتوقف عليه الرجولة الكاملة ..." [8]

تنبّه علماء الجمعية إذن إلى قيمة المرأة ومدى أهميتها إما في صلاح المجتمع أو فساده لذلك لا تجد مجتمع راقي لا توجد فيه نساء عالمات وعاملات.

تعدّ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من أبرز المؤسسات التي ساهمت في تطوير الشعر والنثر الجزائري والحفاظ على تراث الوطن الثقافي ، قامت الجمعية بدعم الشعراء والمثقفين وتوفير المساحة اللازمة للتعبير الشعري ونشره ، وقد أسهمت هذه الجمعية في نمو الشعر الوطني وتعزيز الهوية الثقافية الجزائرية ، إذ تتنوع مواضيع الشعر لدى أدب هذه الجمعية بشكل واسع، وتشمل المواضيع الوطنية والاجتماعية والرومانسية والدينية والتاريخية، يتم تناول قضايا الحرية والاستقلال والوحدة الوطنية في القصائد الوطنية بينما يتناول الشعر الاجتماعي القضايا الاجتماعية والظلم والفقر ، وتعكس القصائد الرومانسية والدينية العواطف والمعتقدات الشخصية للشاعر ، كما يعمل هذا الأدب على تخليد التراث والقيم الثقافية و إيصالها إلى الأجيال القادمة .

ختاما يمكن القول إنّ الأدب الجزائري الإصلاحي، أدب قائم بذاته مثّل مرحلة زمنية معينة لها جماليات وميزاتها الخاصة، والتي تختلف عن بقية الأزمنة وأنّ لهذا النوع من الأدب الذي يرصد الحياة الاجتماعية والثقافية للأفراد وزنه الثقافي، وهو ما يجعلنا نحنّ إلى مثل هذه الفنون، ويدفعنا لدراستها والتعمق فيها أكثر فأكثر .

[1] محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925 ـ 1975، ط2، دار الغرب الإسلامي، ص 276 ـ 277.

[2] محمد الطاهر فضلاء، الطيب عقبي، رائد حركة الإصلاح الديني في الجزائر، صدر هذا الكتاب عن وزراة الثقافة، الجزائر العاصمة، ص131 .

[3] محمد الطاهر فضلاء، ن م، ص 119.

[4] محمد العيد آل خليفة، ديوان محمد العيد آل خليفة، دار الهدى، عين مليلة ـ الجزائر ـ دط ، 2010 ، ص 42 .

[5] محمد ناصر، ن م، ص 429.

[6] الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ديوان الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، l'école de mon enfance، ص 25 ـ 26 ، نشرت جريدة البصائر ، السنة الأولى، العدد 119، 15 ماي 1950 .

[7] محمد الطاهر فضلاء، ن م، ص 141.

[8] جريدة البصائر، السنة الأولى، 24 أفريل 1936، العدد الثامن، ص 126 .

**قائمة المصادر والمراجع:**

محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925 ـ 1975، ط2، دار الغرب الإسلامي.

محمد الطاهر فضلاء، الطيب عقبي، رائد حركة الإصلاح الديني في الجزائر، صدر هذا الكتاب عن وزراة الثقافة، الجزائر العاصمة.

محمد العيد آل خليفة، ديوان محمد العيد آل خليفة، دار الهدى، عين مليلة ـ الجزائر ـ دط، 2010.

محمد البشير الإبراهيمي، ديوان الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، l'école de mon enfance، نشرت جريدة البصائر، السنة الأولى، العدد 119، 15 ماي 1950.

جريدة البصائر، السنة الأولى، 24 أفريل 1936، العدد الثامن.